جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

المادة: الأدب الإسلامي

دعوى ضعف الشعر الإسلامي.

يشيع بعض الباحثين من عرب ومستشرقين، فكرة ضعف الشعر العربي بعد الإسلام، ويرددون أحكاما وآراء أطلقها بعض النقاد في القرنين الثاني والثالث الهجريين، عندما قرروا ضعف الشعر بعد الإسلام، وانصراف الشعراء عن قوله، وبعد الناس عن الاهتمام بالشعر منذ إن نزلت الآيات الكريمة ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾. وتناقلوا حديث الرسول (ﷺ): لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا.

وقالوا: إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الالشعر وروايته.

ورددوا قوله الأصمعي: إن الشعر نكد بابه الشر.

وقوله ابن خلدون: انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم في أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً.

إن هذه النصوص المبثوثة في كتب الأقدمين كان لها صدى دراسات المحدثين، فاستندوا إليها، وبنوا عليها نظر الشعر الإسلامي.

ويمكن إجمال ذلك الصدى في كتب المحدثين بالآتي:

١- إنَّ المسلمين شغلوا بالقرآن، وسكت شعراؤهم ليستمعوا إلى كلمة الله؛ ذلك الصدى القوي الذي رن في أسماع العالمين بكنه الرسالة الجديدة وفلسفتها، كان جديراً بأن يوقف أساليب القول والتفكير إلا في هذه الرسالة.

٢- إنَّ طريق الإسلام غير طريق الشعر، ومذهبه غير مذاهب الشعراء، فالشعراء إنما كان أكثر قولهم

عصبية جاهلية وفخراً وحماسة بما بين قبائلهم من تنازع ومطاولة بالأنساب والاحتساب، وهجاء ومدحاً باطلاً، وهي مذاهب حاربها الإسلام.

وإن الشعر نكد لا يقوى إلاَّ في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان.

٣- إنَّ بعض الشعراء شغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله.

٤- إنَّ النبي(ﷺ) لم يهيئ لعامة الشعراء مكاناً رحيباً فيكنفه، لما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرها الدين، فكف بعضهما عن قول الشعر .

٥- إنَّ الضعف الذي يبدو على الشعر الإسلامي إنما كان بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لا بعده، كان قد انقضى عصر الفحول، ولم يبق إلا الأعشى الذي مات-كما تقول الرواية- وهو في طريقه إلى النبي (ﷺ) ليمدحه، ويعلن إسلامه، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين، أوشك أن يكف عن قول الشعر، ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون، بعضهم مجيد في قصائد مفردة، ولكن لا يبلغون شاو هؤلاء الفحول.

ولتأكيد مقولة ضعف الشعر الإسلامي يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الإسلام، وأن بعض الشعراء قد انصرفوا تماماً عن قول الشعر بعد الإسلام، صمت لبيد بن ربيعه.

وفي الجانب الأخر ظهر فريق من الباحثين، رفضوا القول بضعف الشعر الإسلامي، وأكدوا إن نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام، إن لم تكن قد تقدمت خطوات، بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض.

فابن خلدون مثلاً يفضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين فيقول: إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم، فأنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعه والحطيئة ... أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير. والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث، اللذين عجز البشر عن الأتيان بمثلهما، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك، وأرصف مبنى واعدل تثقيفاً، بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة.

وممن قال بنفي مقولة ضعف الشعر الإسلامي من المحدثين الدكتور عمر فروج و الدكتورة بنت الشاطئ ونال ينو.

واتخذ بعض الباحثين طريقاً وسطاً بين القائلين بضعف الشعر الإسلامي، والقائلين بأنَّ الإسلام قد فجر طاقات الشعراء، وبعث الروح في أشعار تلك الفترة.

يقول الدكتور يوسف خليف: ولسنا ندعي أن القرآن صرف العرب جميعاً عن قول الشعر، أو أنه أخرس ألسنتهم حتى لم تعد تنطق به، وإنما الذي نقرره هو أنه أضعف من سيطرته على المجتمع الأدبي الإسلامي،

بعد أن كان هو اللون الأساسي في الحياة الأدبية الجاهلية، وإذا كان لبيد قد فكر في أن يحطم قيثارته فقد كان هناك غيره... احتفظوا بقيثارتهم دون أن يحطموها.

إن الرجة الدينية والأدبية التي أثارها القرآن في نفوسهم وفي المجتمع الإسلامي من حولهم كادت تزلزل الأوتار في أيديهم، وتجعل الناس لا يجدون في فنهم تلك المتعة الآسرة التي كان القدماء يجدونها في الشعر القديم، أو على أقل تقدير لا يجدون في وقتهم ما يجعلهم يلتفتون حولهم ليستمعوا لهم كما كان أسلافهم يفعلون.

فأين الصواب في هذه الآراء ؟

أما أن القرآن قد حط من الشعر، وقلل من قيمته، فهذا غير صحيح، وقد عالجنا هذه المسألة في فصل ((القرآن والشعر)).

ونود أن نورد هنا التوجيه الطريف الذي ذهب إليه العسكري في آيات الشعر والشعراء، حيث يقول: واستثناء الله (ﷻ) في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر، إنما هو العدول من جهة الصواب إلى الخطأ، والمصروف من وجهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم. ولو كان الذم لازماً لكونه شعراً لما جاز أن يزول على حال من الأحوال.

أما حديث الرسول (ﷺ) عن الشعر فقد استشهد به هؤلاء ناقصاً؛ لأنَّ السيدة عائشة (رضي الله عنها) رفضت هذه الرواية، وارتاعت لها عندما سمعتها، وقالت: لم يحفظ أبو هريرة (رضي الله عنه)، إنما قال رسول الله (ﷺ): ((لأن يمتلئ جوفا أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به)).

ومن هذا الاستدراك يتضح جليا موقف الرسول (ﷺ) من الشعر، فقد نهى عن لون معين منه، وعن موضوعات خالصة، لا تتعدى هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة، أما فيما عدا ذلك فأن الرسول (ﷺ) أقر قول الشعر، وطلب من الشعراء أن يردوا على قريش، وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم، وسمح لهم بنظمه في معظم الأغراض الشعرية، وقد فصلنا هذه المواقف في فصل ((الرسول (ﷺ) والشعر)).

أما الحجج التي استند عليها المحدثون لتعليل القول بضعف الشعر الإسلامي فتقول:

١- القول بانبهار الشعراء بالقرآن ومعاني الإسلام الجديدة، فنقول أن الإسلام لم يكن قد آتى مفاجأة بلا

إرهاصات أو مقدمات دينية، وقد فاضت كتب السيرة والتاريخ في تعداد تلك الإرهاصات التي كانت تعم الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية.

وكانت الاشعار تمثل تلك الإرهاصات في أواخر العصر الجاهلي كشعر أمية بن أبى الصلة ولبيد وزهير وغيرهم من المتحفين .

ولا وجه للانبهار، فالمسلم همه أن يقتبس من القرآن في أفكاره وأسلوبه، وحقق ذلك فعلاً، لا أن ينبهر به، ويتوقف عن الإبداع الشعري، وسبق أن أتثبتنا رأي ابن خلدون في هذه المسألة حين فضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين بسبب سماعهم القرآن والحديث.

٢- أما القول بأن طريق الإسلام غير طريق الشعر، إلى آخر هذه الحجة، فنقول: إن الإسلام قد نهى عن بعض ألوان الشعر، وهي مع قلتها، فإنه قد أوجد بديلاً عنها، وشجع كثيراً من الألوان الأخرى، ووجه بعضها الآخر كما هو موضح في أثر الإسلام في الأغراض الشعرية.

وغير صحيح أن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر.. . الخ موهوما ذهب إليه الأصمعي.. ، ورده بعض، المحدثين، فهذا الرأي يخالف رأي النقاد الذين يجمعون على أن القوة والضعف أردهما إلي طبيعة الشاعر وموهبته، وصدق عاطفته، وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر تنفعل بعوامل الخير، وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته، فيرتفع شعرها فيه إلى أسمى ذرواته، وقد يكون انفعال الشاعر بحب الرسول (ﷺ) مثلاً أشد أقوى من انفعال شاعر بحب غادتا اللعوب.

٣- وحجة انشغال المسلمين بالجهاد مردودة أيضاً فالجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلامية أكثر الروافد التي أمدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة والأفكار البديعة والأغراض الطريفة .

ويجب أن نفرق بين العمل المادي الذي قد ينشغل عنه الإنسان بعمل آخر، وبين الانفعال الذي لا يمنعه مكان أو زمان، فحيثما انفعل الشاعر تفجرت قريحته وسال لسانه بكلمات الشعر.

٤- أما أن النبي (ﷺ) لم يهيئ للشعراء مكاناً رحيباً في كنفه، فانصرف بعض الشعراء عن قول الشعر، فهو قول غير مقبول، من يتتبع مواقف رسول الله (ﷺ) من الشعراء وتأييده الكبير لهم يعلم ما في هذا القول من بعد عن الحقيقة، ويكفى أنه نصب لحسان منبراً ينشد من فوقه الشعر في مسجده وفي حياته، وأنه زوجه من أخت زوجته ماريا القبطية، لا لشيء إلا لمواقفه الشعرية، وفيما أوردنا من إكرام رسول الله(ﷺ) للشعراء قولاً وفعلاً دليل يغنينا عن التفصيل في هذا الرد.

٥- والقول بأن الضعف قد بدأ قبل الإسلام فيه تعميم، فحسان وكعب بن زهير ولبيد والعباس بن مرداس والحطيئة والهزليين وغيرهم من المخضرمين، ومن تلاهم في العصر الأموي من الفحول المعروفين، كلهم شاركوا في النهضة الشعرية التي امتدت بعد الإسلام ولم تنقطع أو تفتر.

أما إن شعر حسان قد ضعف وتراجع بعد الإسلام؛ لأن شيطانه قد تبدل ملكا، فهذا غير صحيح أيضاً؛ لأن معظم النقاد يرون أن ما وجد في شعره من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح بل هو فيما وضع عليه من إشعار.

ومما سبق نخلص إلى بطلان دعوى ضعف الشعر الإسلامي، ونؤكد أن ما استند إليه القائلون بهذه الدعوى يرجع إلى قلة اطلاعهم على النصوص الشعرية أو إلى تقليد مقولة الأقدمين، أو تحميل بعض نصوص القرآن أو الحديث، أو النقاد القدامى، أكثر مما تحتمل، وتوجيهها إلى غير ما أريد منها.